

فجرُ الهدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

استأعيتك

٦

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يوسف عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنبِئت وزيدت إشرافاً بذكر أخبار رُسل
الرحمة والإنسانية ، رُسل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها
الأوهام والباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام
وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسلٍ وأنبياء .
قال الله تعالى : (وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنِكَ مِنْ أُنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتَ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَرُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ

اَسْمَاعِيْلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ
الذَّبِيح

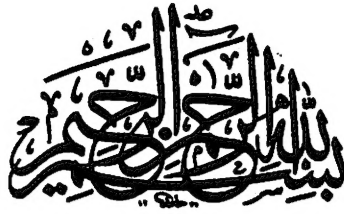
من قصص
الأنبياء
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001م

عنوان الدار :

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 221361 21 963 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولادة إسماعيل

تَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالِدُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
مِنَ السَّيِّدَةِ سَارَةَ، الَّتِي كَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ. وَكَمْ كَانَ يَتَمَنَّى إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ الْوَلَدَ وَالذُّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ .
فَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنِدَائِهِ وَطَلَبِهِ، وَبَشَّرَهُ بِغُلَامٍ يَكُونُ سَيِّدًا
مُطَاعًا كَثِيرَ النَّسْلِ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾^(١).

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ هَجَرَ قَوْمَهُ فِي بَابِلَ، وَارْتَحَلَ مَعَ
زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَابْنِ أَخِيهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مِصْرَ. وَهُنَاكَ أَهْدَى
مَلِكُ مِصْرَ النَّبِيَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، جَارِيَةً تُدْعَى "هَاجِرَ"
لِتَقُومَ عَلَى خِدْمَةِ وَرِعَايَةِ السَّيِّدَةِ سَارَةَ. وَرَغِبَتْ سَارَةُ أَنْ يَتَزَوَّجَ
إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَاجِرَ عَلَّهَا تُنْجِبُ لَهُ الْوَلَدَ. وَهَذَا مَا حَصَلَ
إِذْ حَمَلَتْ هَاجِرَ، بَعْدَ حِينٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَأَنْجَبَتْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ

(١) سورة: الصافات (١٠١).

السَّلَامُ. وَلَكِنَّ غَيْرَةَ النِّسَاءِ لَا بُدَّ وَأَنْ تُنْكَشِفَ وَتُظْهَرَ. فَكَيْفَ يُمَكِّنُ
لِهَذِهِ الْجَارِيَةِ أَنْ تَكُونَ أَسِيرَةً مُحَبَّبَةً مُقَرَّبَةً إِلَى إِبْرَاهِيمَ دُونَهَا، وَقَدْ
وَلَدَتْ لَهُ الْوَلَدَ وَالذَّرِيَّةَ الصَّالِحَةَ؟ فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ طَلَبَتْ مِنَ
النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا تَرَاهَا وَأَنْ تَغِيبَ عَنْهَا.

هَاجِرُ وَاسْمَاعِيلُ منفردين

سَارَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِزَوْجَتِهِ هَاجِرَ، وَابْنِهِ
إِسْمَاعِيلَ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ جَافٍ مُجْدِبٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ،
حَيْثُ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةُ الْيَوْمَ، فَتَرَكَهُمَا هُنَاكَ، وَحِيدَيْنِ يُعَانِيَانِ الْجُوعَ
وَالْعَطَشَ. وَلَكِنَّ هَاجِرَ لَمْ تَسْتَغْلِمَ بَلْ حَاوَلَتْ أَنْ تُثْنِي^(١) زَوْجَهَا
عَنْ رَأْيِهِ، وَتَعَلَّقَتْ بِبَيْتَابِهِ مُتَوَسِّلَةً مُتَضَرِّعَةً وَقَالَتْ:

يَا إِبْرَاهِيمُ كَيْفَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا وَحِيدَيْنِ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يَكْفِينَا مِنْ
طَعَامٍ وَشَرَابٍ؟ وَعِنْدَمَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: يَا هَاجِرُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِهَذَا. عِنْدَهَا رَجَعَتْ هَاجِرُ، وَاطْمَأْنَنْتْ
وَسَكَنتْ نَفْسُهَا وَقَالَتْ:

إِذَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَنْ يُضَيِّعَنَا، وَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ

(١) تُثْنِي: تَرُدُّ.

السَّلَامُ، حَزِينًا، كَثِيبًا كَادَ قَلْبُهُ يَتَمَرَّقُ حُزْنًا وَكَمَدًا عَلَى زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ
 إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى مَكَانٍ لَا يَرُونَهُ فِيهِ، تَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ
 رَافِعًا يَدَيْهِ مُتَضَرِّعًا، أَنْ يَحْفَظَ لَهُ زَوْجَهُ وَوَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأَنْ
 يَحْمِيَهُمَا وَيَرْزُقَهُمَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْخَيْرَاتِ قَائِلًا:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
 يَشْكُرُونَ﴾^(١).

بئر زمزم

وَانْزَوْتُ هَاجِرٌ وَحِيدَةً، مَعَ ابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ الرَّضِيعِ، حَزِينَةً كَاسِفَةً
 الْبَالِ، كَثِيبَةً، وَمَرَّتْ بِهَا الْأَيَّامُ، تُرْضِعُ ابْنَهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
 وَتَشْرَبُ مِمَّا فِي سِقَائِهَا مِنْ مَاءٍ، إِلَى أَنْ نَفَدَ الْمَاءُ، فَأَخَذَتْ تُعَانِي
 مَعَ وَلِيدِهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الظَّمَا وَالْعَطَشِ، تَحْتَ لَطَى
 الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ، وَأَخَذَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَلَوَّى مِنَ الْعَطَشِ،
 وَهِيَ بِدَوْرِهَا تَتَلَوَّى مِنَ الْعَطَشِ وَالْحُزْنِ عَلَى ابْنِهَا وَهِيَ تَرَاهُ يَجِفُّ
 كَخِرْقَةٍ نَدِيَّةٍ يَطْلُبُ مَاءً فَلَا تَجِدُهُ، وَأَتَى لَهَا أَنْ تَجِدَ الْمَاءَ، فِي

(١) سورة: إبراهيم (٣٧).

صَحْرَاءَ مُجْدِبَةٍ^(١). لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا زَرْعَ. وَانْطَلَقْتُ يَدْفَعُهَا حُبُّهَا
وَعَطْفُهَا عَلَى ابْنِهَا الصَّغِيرِ، تَبَحُّثُ عَنِ الْمَاءِ عَلَيْهَا تَجِدُهُ فَتُنْقِذَ ابْنَهَا
مِنَ الْمَوْتِ الْمُحْتَمِّ. فَلَمْ تَجِدْ أَمَامَهَا، سِوَى جَبَلٍ يُدْعَى الصَّفَا،
فَقَامَتْ وَصَعِدَتْ إِلَى ذُرْوَتِهِ^(٢)، وَنَظَرَتْ إِلَى أَسْفَلِ الْوَادِي، فَلَمْ تَرَ
أَحَدًا فَتَنَزَلَتْ حَتَّى تَجَاوَزَتْ الْوَادِي تَسْعَى سَعْيَ إِنْسَانٍ مُشْرِفٍ عَلَى
الْمَوْتِ، ثُمَّ صَعِدَتْ إِلَى جَبَلٍ يُدْعَى الْمَرْوَةَ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا.
وَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، تَسْعَى فِي كُلِّ مَرَّةٍ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ،
صَاعِدَةً هَابِطَةً، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ تِلْكَ الشَّعِيرَةُ مِنْ
شَعَائِرِ حَجِّ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، حَيْثُ يَطُوفُ الْمُسْلِمُونَ
بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ اقْتِدَاءً بِالسَّيِّدَةِ هَاجِرَ.

وَاسْتَسَلَمَتْ هَاجِرُ إِلَى قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ
يَشَأْ أَنْ تَمُوتَ هَاجِرُ، وَابْنُهَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا مَلَكًا
فَإِذَا بِهِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَأَخَذَ يَحْفَرُ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ. فَسَرَّتْ هَاجِرُ
سُرُورًا عَظِيمًا، وَأَخَذَتْ تُحِيطُهُ وَتُكَلِّمُهُ وَتُزْمِزِمُهُ، وَتَغْرِفُ مِنْهُ لِيَتَمَلَأَ
سِقَاءُهَا وَهُوَ يَقُورُ، فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَيْدَهَا إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ:

لَا تَخَافِي يَا هَاجِرُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لَنْ يُضَيِّعَكَ وَابْنَكَ

(١) مجدبة: قاحلة لانبات فيها.

(٢) ذروته: قمته.

إِسْمَاعِيلَ، فَهُوَ وَوَالِدُهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، سَيِّئَانِ هَا هُنَا، بَيِّنَا
لِلَّهِ يَكُونُ قِبْلَةً لِلْمُسْلِمِينَ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا.

زواجُ إسماعيل

وَبَيِّنَمَا كَانَتْ هَاجِرُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَعِيدَةً، بِوُجُودِ الْمَاءِ وَتَدَفُّقِهِ
مِنْ زَمْزَمَ، بِإِرَادَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ وَفَدَ عَلَيْهَا قَوْمٌ يُعْرِفُونَ
بِاسْمِ "جُرْهُم" أَوْ الْجَرَاهِمَةِ فَتَزَلُّوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، وَقَدْ رَأَوْا بَعْضَ
الطُّيُورِ تَحُومُ فَوْقَ زَمْزَمَ، تَعْلُو وَتَهْبِطُ فَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الطُّيُورَ لَتَدُورُ
عَلَى مَاءٍ، وَعَهْدُنَا بِهَذَا الْمَكَانِ أَنْ لَا مَاءَ فِيهِ، فَأَرْسَلُوا مَنْ يَسْتَطْلِعُ
لَنَا الْأَمْرَ، وَعِنْدَمَا عَادَ رَسُولُهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِوُجُودِ الْمَاءِ قَالُوا لِلْسَيِّدَةِ
هَاجِرَ: أَتَسْمَحِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ؟.

وَأَفَقَّتْ هَاجِرُ عَلَى نُزُولِهِمْ، كَيْ تَأْنِسَ بِهِمْ. وَمَرَّتِ السَّنُونَ،
وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ وَتَرَعَرَعَ وَسَطَ الْجَرَاهِمَةِ، وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ
مِنْهُمْ، فَكَانَ كَمَا يُقَالُ أَوَّلَ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى، فَنَالَ
إِسْمَاعِيلُ إِعْجَابَهُمْ وَعِنْدَمَا أَدْرَكَ^(١) زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ فَرْحَةَ

(١) أدرك: بلغ مبلغ الرجال.

إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ تَدُمْ طَوِيلًا، إِذْ مَاتَتْ أُمُّهُ هَاجِرٌ، فَحَزِنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَهِيَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ مِنْ لَبَنِهَا وَحَلِيبِهَا، وَبَذَلَتْ فِي سَبِيلِ إِنْقَاضِهِ كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ، وَلَا قَتْ مِنْ الْعَذَابِ مَا لَا قَتْ.

الرَّوْجَةُ الْعَاقَةُ

اشْتَقَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِوَلَدِهِ وَتَرْكَتِهِ، فَذَهَبَ يَبْتَغِي عَنْهُ، حَتَّى اهْتَدَى إِلَيْهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْهُ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ:

- خَرَجَ إِسْمَاعِيلُ يَبْتَغِي لَنَا رِزْقًا. وَأَرَادَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِدَافِعِ الْأُبُوَّةِ، أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَهْوَ سَعِيدٌ مَعَ زَوْجِهِ أَمْ لَا؟ أَتَكُونُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مُطِيعَةً تَقِيَّةَ حَمِيدَةٍ أَمْ لَا؟ فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهِمْ وَعَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ:

- نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ وَشَظْفٍ عَيْشٍ^(١)، لَأَنَّا كُلُّ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَلَا نَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ النَّاسُ، وَأَخَذَتْ تَشْكُو إِلَيْهِ ضَعْفَ حِيلَةِ إِسْمَاعِيلَ وَفَقْرَهُ الشَّدِيدَ. عِنْدَهَا حَزَنُ الْأَبِ الْحَنُونِ عَلَى ابْنِهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، لَا تَصْلُحُ لَهُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ يُعَانِي مَعَهَا، لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ الشَّكْوَى، قَلِيلَةُ الْحَمْدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ

(١) شظف عيش: فقر شديد.

إِسْمَاعِيلُ فَأَقْرَبِيهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: أَنْ يُغَيِّرَ عَتَبَةَ بَيْتِهِ. وَلَمَّا عَادَ
إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامَ، رَأَى فِي وَجْهِ زَوْجَتِهِ عُيُوسًا، وَأَحْسَنَ أَنَّ شَيْئًا
قَدْ حَصَلَ فَسَأَلَهَا:

- هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ جَاءَ شَيْخٌ طَاعِنٌ فِي السِّنِّ^(١)، فَسَأَلَنِي عَنْكَ،
وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّنَا فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ. وَأَوْصَانِي أَنْ أَقْرَأَ
عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولَ لَكَ أَنْ تُغَيِّرَ عَتَبَةَ بَابِكَ. عِنْدَيْدِ عَرَفَ
إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامَ، أَنَّ وَالِدَهُ إِبْرَاهِيمَ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ أَمَرَهُ
أَنْ يُطْلَقَ زَوْجَتَهُ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَرَ زَوْجَتَهُ
أَنْ تَلْحَقَ بِأَهْلِهَا.

الزوجةُ التقيةُ

ثُمَّ إِنَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، بَعْدَ أَنْ طَلَقَ زَوْجَتَهُ، خَطَبَ مِنْ
الْجَرَاهِمَةِ فَتَاةً أُخْرَى وَتَزَوَّجَهَا، وَغَابَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُدَّةَ
طَوِيلَةٍ، لَمْ يَزُرْ فِيهَا ابْنَهُ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ أَنْ دَبَّ الشَّوْقُ فِي قَلْبِهِ،
لِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ ابْنِهِ. فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ الْجَدِيدَةَ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي
لَنَا رِزْقًا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ حَالِهِمْ، وَأَوْضَاعِهِمْ وَعَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ

(١) طاعن في السن: كبير.

فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَحَمِدَتِ اللَّهَ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَاطْلُبِي إِلَيْهِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى عَتَبَةِ بَيْتِهِ. فَلَمَّا عَادَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتَفْسَرَ مِنْهَا فِيمَا إِذَا جَاءَهَا أَحَدٌ، أَجَابَتْهُ: بِأَنَّ رَجُلًا كَبِيرًا، جَاءَهَا وَأَمَرَنِي أَنْ أُسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَأَنْ تُحَافِظَ عَلَى عَتَبَةِ بَيْتِكَ. فَقَالَ لَهَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: - ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُبْقِيَكَ عِنْدِي، وَأَنْ أُحَافِظَ عَلَيْكَ.

بناء البيت العتيق

وَبَيْنَمَا كَانَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَبْرِي نَبْلًا^(١) لَهُ، تَحْتَ دَوْحَةٍ^(٢) قَرِيبَةٍ مِنْ زَمْزَمَ، جَاءَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ:

- يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا لِلنَّاسِ، يَكُونُ قِبْلَةً لَهُمْ يَحُجُّونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا^(٣) لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ

(١) يبري نبلاً: يسرُّ سهماً.

(٢) دوحه: واحة مكتظة بالشجر.

(٣) بوأنا: بينا.

بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
يَأْتُونَكَ رِجَالًا أَوْ قُلُوبًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ^(١) يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ^(٢) عَمِيقٍ ﴿٣﴾ .

وَاسْتَجَابَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِطَلْبِ أَبِيهِ . وَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بَيْنِي الْحِجَارَةِ ، وَإِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِهَا ، وَرَفَعَا
قَوَاعِدَ الْبَيْتِ .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ^(٤) .

وَاسْتَمَرَّا فِي الْبِنَاءِ حَتَّى اكْتَمَلَ ، وَهُمَا يَدُورَانِ حَوْلَ الْبَيْتِ
قَائِلِينَ :

﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٥) .

فَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، يَحُجُّ
إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، إِلَى الْآنَ وَإِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ^(٦) مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٧) .

(١) ضامر: بغير مهزول .

(٢) فج عميق: طريق بعيد .

(٣) سورة: الحج (٢٦ ، ٢٧) .

(٤) سورة: البقرة (١٢٧) .

(٥) سورة: البقرة (١٢٧) .

(٦) بيكة: أي مكة وبكة اسم من أسمائها .

(٧) سورة آل عمران (٩٦) .

إسماعيل الذبيح

سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ أَنْ يَهَبَهُ وَلَدًا صَالِحًا،
وَذَلِكَ عِنْدَمَا هَاجَرَ مِنْ بِلَادِ قَوْمِهِ، فَبَشَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ،
وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي وُلِدَ مِنْ هَاجَرَ، بَيْنَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي السَّادِسَةِ وَالْثَمَانِينَ مِنْ عُمرِهِ، فَهُوَ أَيْ
إِسْمَاعِيلُ، أَوَّلُ وَلَدٍ، وُلِدَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْوَلَدُ الْبَكْرُ
يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴿١﴾.

وَعِنْدَمَا كَبُرَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشَبَّ، وَصَارَ بِمَقْدُورِهِ، أَنْ
يَسْعَى وَيَعْمَلَ كَمَا يَعْمَلُ وَيَسْعَى أَبُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَأَى إِبْرَاهِيمُ
الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الْمَنَامِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَذْبَحَ
وَلَدَهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ "رُؤَى الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ". يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِيَّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى ﴿٢﴾﴾.

(١) سورة: الصافات (٩٩ - ١٠١).

(٢) سورة: الصافات (١٠٢).

إِنَّهُ لَأَمْرٌ عَظِيمٌ وَاخْتِبَارٌ صَعْبٌ، لِلنَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَإِسْمَاعِيلُ هَذَا الْوَلَدُ الْعَزِيزُ الْبَكْرُ، وَالَّذِي جَاءَهُ عَلَى كِبَرٍ، سَوْفَ
يَفْقِدُهُ بَعْدَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتْرُكَهُ مَعَ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ هَاجِرَ، فِي
وَادٍ لَيْسَ بِهِ أَنْيْسٌ، هَا هُوَ الْآنَ يَأْمُرُهُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يَذْبَحَهُ.

وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، امْتَثَلَ لِأَمْرِ رَبِّهِ وَاسْتَجَابَ
لِطَلْبِهِ وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ. ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَعَرَضَ الْأَمْرَ
عَلَيْهِ، وَلَمْ يُرَدِّ أَنْ يَذْبَحَهُ قَسْرًا، فَمَاذَا كَانَ رَدُّ الْغُلَامِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ؟ :

﴿ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١).

إِنَّهُ رَدُّ يَدُلُّ عَلَى مُتَنَهَى الطَّاعَةِ وَغَايَتِهَا لِلْوَالِدِ وَلِرَبِّ الْعِبَادِ، لَقَدْ
أَجَابَ إِسْمَاعِيلُ بِكَلَامٍ فِيهِ اسْتِسْلَامٌ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَفِيهِ امْتِثَالٌ
رَائِعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَيُّ أَمْرٍ هَذَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ،
وَحَانَتِ اللَّحْظَةُ الْحَاسِمَةُ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذَنْحِ
ابْنِهِ، انْقِيَادًا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَضْجَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَالتَّصَقَّ
جَبِينُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَرْضِ وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ^(٢) لِلْجَبِينِ ﴿١١٧﴾ وَتَدَيَّنَتْ أَنْ يُتَابِرَ إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٨﴾ قَدْ صَدَقَتْ الرُّؤْيَا إِنَّا

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢٠﴾ وَتَدَيَّنَتْ بِذَنْحِ عَظِيمِ ﴿١٢١﴾

(١) سورة: الصافات (١٠٢).

(٢) تَلَّهُ لِلْجَبِينِ: أَيِ أَضْجَعَهُ وَجَبِينَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْتَصِقًا بِالْأَرْضِ.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ .

وَلَكِنَّ السَّكِينِ لَمْ تَقْطَعْ، بِإِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَهَا فَدَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِكَبْشٍ عَظِيمٍ مِنَ الْجَنَّةِ، أبيضِ الصُّوفِ ذِي قُرُونٍ كَبِيرَةٍ .
وَهَكَذَا أَصْبَحَتِ الْأُضْحِيَّةُ سُنَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسُنَّةَ
لِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً، يُؤَدُّونَهَا أَيَّامَ الْحَجِّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ .

إِسْمَاعِيلُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَلِيمًا صَبُورًا، صَادِقَ
الْوَعْدِ، مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ، أَمِيرًا أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، مُطِيعًا
لِوَالِدِهِ وَلِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (٢) .

وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَقْرُونًا بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، بِالصَّبْرِ
وَالْمُجَالَدَةِ، وَبِالتَّقَى وَالصَّلَاحِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي

(١) سورة: الصافات (١٠٣ - ١١٠) .

(٢) سورة: مريم (٥٤ ، ٥٥) .

رَحِمْنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١﴾ .

وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، كُلَّ صِفَةٍ جَمِيلَةٍ، وَجَعَلَهُ نَبِيَّهُ
وَرَسُولَهُ، وَبَرَّاهُ مِنْ كُلِّ الثَّهْمِ الَّتِي لَفَّقَهَا الْمُتَنَافِقُونَ الْجَاهِلُونَ، وَأَمَرَ
عِبَادَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وَكَانَ النَّبِيُّ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ الْخَيْلَ، وَكَانَتْ
آنَ ذَاكَ وَحُوشًا غَيْرَ مُسْتَأَنَسَةٍ، فَأَنَسَهَا وَرَكَبَهَا وَلِهَذَا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بِالْخَيْلِ، وَحَثَّ (٣) عَلَى رُكُوبِهَا لِأَنَّهَا مِيرَاثُ آبِنَا إِسْمَاعِيلَ،
يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

اتَّخِذُوا الْخَيْلَ وَاعْتَقِبُوهَا فَإِنَّهَا مِيرَاثُ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ .

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ الْبَلِيغَةِ، الَّتِي
تَعَلَّمَهَا مِنَ الْعَرَبِ، الْعَارِبَةِ، الَّذِينَ نَزَلُوا بِمَكَّةَ مِنْ قَبَائِلِ جُرْهُمَ
وَالْعَمَالِيقِ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(١) سورة الأنبياء (٨٥، ٨٦) .

(٢) سورة: البقرة (١٣٦) .

(٣) حثَّ: شَجَّعَ .

أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ ^(١) لِسَانَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْبَيِّنَةِ ^(٢) إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ
عَشْرَةِ سَنَةٍ.

وَقَدْ رَزَقَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ امْرَأَتِهِ الثَّانِيَةِ، اثْنِي عَشَرَ
وَلَدًا، وَكَانَ نَبِيًّا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتِلْكَ النَّاحِيَةِ الَّتِي سَكَنْتُ فِيهَا
قَبَائِلُ جُزْهُمَ وَالْعَمَالِيقِ وَأَهْلُ الْيَمَنِ، وَانْتَقَلَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى رَحْمَتِهِ تَعَالَى، حِينَ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً.

* * * * *

(١) فَتَقَ: نَطَقَ.

(٢) الْبَيِّنَةُ: الْوَاضِحَةُ وَالسَّلِيمَةُ.